

## كلوفيس مقصود..

### بين مصداقية الإلتزام ومصداقية الإفتراض

بقلم: خالد حميدان

رئيس مركز التراث العربي

رئيس تحرير جريدة الجالية - تورنتو، كندا

جريدة النهار - بيروت - 5 آب 2010

في مقال للدكتور كلوفيس مقصود بعنوان: "رمزية جامعة البلمند في سوق الغرب!" الذي كان قد نشر في جريدة "النهار" اللبنانية يوم الأحد الماضي، استوقفتني أكثر من سؤال: أولاً، ما الذي حمل الدكتور مقصود على التخلي عن توجيه "البوصلة" الوطنية التي يحملها منذ عشرات السنين، في هذا الوقت العصيب حيث تشهد الساحة السياسية في لبنان غلياناً من الهوجائية والسجلات المحمومة..؟ ثانياً، كيف يكون قيام فرع لجامعة البلمند في سوق الغرب تذكيراً لأهل المنطقة وسائر اللبنانيين (كما يشير المقال)، بأن مدرسة سوق الغرب كانت واحداً من الصروح الوطنية التي اجتمع اللبنانيون في رحابها على مختلف طوائفهم ومذاهبهم فتعلموا المواطنة ونبذ التفوق والعصبيات والتزام الوحدة الوطنية والعدالة بين مختلف الشرائح والمكونات..

إن دور مدرسة سوق الغرب يذكرنا فعلاً بالأدوار المماثلة للكلية الوطنية في الشويفات والجامعة الوطنية في عاليه ومعهد القديس يوسف في عينطورة ومدرسة الحكمة في عبيه، وهذا ما يفترض أن تكون عليه سائر المؤسسات التربوية والتعليمية في لبنان، إلا أن ما أورده الدكتور مقصود، على ما أعتقد، هو شكل من أشكال التمني باعتبار ما يجب أن يكون عليه الواقع الوطني وليس ما هو حاصل على الأرض من فرقة وشرذمة وتباعده.. ولذلك تراه يخلص إلى القول في ختام المقال بأن المطلوب "هو تعزيز ثقافة المواطنة وإحباط جاهلية الطوائفية".

للوهلة الأولى، انتابني الظن وكأني بالدكتور كلوفيس يبدأ مرحلة جديدة في كتاباته: فهو يقلع عن التحليلات السياسية والمعالجات المنطقية بما تمليه التزاماته الفكرية والانسانية، ليتحول إلى مبشر اجتماعي يرضي سامعيه بخير الكلام أو بما قلّ منه ودلّ.. ولكن سرعان ما يعيدني الاقتناع الراسخ في ضميري إلى التنبه بأن كلوفيس مقصود، أياً كان الشكل الذي يعرض فيه للفكرة الطارئة، لا

يتوانى عن الغاية الأسمى التي يرمي إليها المقال حتى ولو لم يشر إليها في سطوره، إلا أنها بدون شك، واردة بين السطور..

لقد أراد من خلال احتفال سوق الغرب "تأكيد ما يبدو مستحيلًا في خضم السجلات" التي يطالعنا بها الطاقم السياسي في لبنان وقد أسقطوا من حساباتهم كل شعور بالمسؤولية تجاه الوطن والمواطنين. لقد أراد أن يطمئن اللبنانيين الذين أضناهم القلق على مصيرهم ومصير أولادهم، "حتى لا يتحول القلق خوفاً وشوماً" كما يقول، وهنا يكمن بيت القصيد..

وبالمناسبة، تحضرني كلمة قلتها في الدكتور مقصود منذ وقت ليس بقصير، خلاصتها أن مصداقيته فيما يكتب لا توازيها مصداقية ذلك أنه منسجم ومتصالح مع نفسه في أغلب الأحيان. أضف إلى ذلك رسوخ العقيدة في ذهنه وصلابة شعوره بالانتماء إلى مجتمع أراد له الانتصار، مما جنبه الوقوع في أفخاخ الطامعين بالحق والأرض وأهمها ما يسمى بـ "الواقعية العربية" التي استباحت كل المحرمات وتنازلت عن كل الحقوق باسم الانفتاح والتغيير والقبول بالأمر الواقع..

غني عن كل الألقاب والأسماء.. لأنه الاستثناء..! لم تستهوه المناصب وقد احتلّ أعلاها.. في الأربعينات من القرن الماضي، رافق المعلم كمال جنبلاط في تأسيس الحزب التقدمي الاشتراكي.. وفي الخمسينات كان عضواً ناشطاً في لجان الاتصال والتنسيق من أجل المصالحة الوطنية في أعقاب الحرب الأهلية اللبنانية عام 1958. وفي الستينات كان أول سفير لجامعة الدول العربية في الهند في عهد آل نهرو وأنديرا غاندي.

وبين العامين 67 و79 عمل الدكتور مقصود في هيئة تحرير جريدة الأهرام المصرية ورئيساً لتحرير النهار الأسبوعي اللبناني في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر. وفي أيلول من العام 1979 عين رئيساً دائماً لبعثة جامعة الدول العربية لدى الأمم المتحدة. وقد استقال من منصبه في الجامعة على أثر اجتياح العراق للكويت في آب 1990، لشعوره باستباحة كرامة الأمة..

إن تعدد المراكز والمواقع التي تبوأها د. كلوفيس مقصود، لم تزده إلا تأكيداً وإصراراً على استمرار النضال من أجل الحق العربي الذي تواجهه التحديات من كل صوب. ويكاد ينفرد، بما اكتسبه من كمال جنبلاط وأنديرا غاندي وجمال عبد الناصر، بالصبر وطول الأناة.. مدققاً في كل كلمة يستخدمها وواضحاً في كل موقف يتخذه، ومستقيلاً متى كانت الاستقالة تعني كرامة الأمة..

من رحم هذه الخلاصة النادرة خرجت مصداقية كلوفيس مقصود في كتاباته وقد أسميتها "مصداقية الإلتزام"، وقد تلقاها القارئ العربي على صفحات "الأنباء" و"النهار" و"السفير" و"الشروق"

و"الجزيرة" و"الجالية" وغيرها، حيث يبدو الدكتور مقصود هو هو أينما حلّ لأنه الصادق في قوله كما في فكره لا تجرفه الرياح ولا تتمكن منه الأعاصير..

بقي أن نقول أنه يضيف بعض القراء سبباً آخر لمصداقية كلوفيس مقصود في كتاباته وقد أسميتها "مصداقية الإفتراض"، ذلك أنه يفترض هؤلاء أنه طالما يقيم في واشنطن - عاصمة البيت الأبيض والقرار الدولي - فهو ولا شك أكثر من غيره معرفة في خبايا الأمور وخفاياها، وهذا يعزز مصداقيته فيما يكتب.. يضحك الدكتور كلوفيس لدى سماعه بمصداقية الإفتراض (كما أسميتها)، فيرد على الفور مازحاً: "يزيدني هذا ثقة وسروراً ويمدني بنشاط متجدد للكتابة طالما أنني حزت على رضى كل الأفرقاء.."

أعود لأردد ما ذكرت آنفاً بأن مصداقية كلوفيس مقصود لا توازيها مصداقية.. فهو هو ذاته بين الإلتزام والإفتراض، أكان في محيط البيت الأبيض في واشنطن أم في محيط حي العمروسية في الشويفات..